ندوة السياسات الثقافية وزارة الثقافة الأردنية بالتعاون مع منظمة اليونسكو عمان
15-17/حزيران/2004

الثقافة والمعلوماتية

تعقيب على ثلاث أوراق

أ.د. صالح أبوأصبع

أوراق ثلاثة لكل منها مذاقها الخاص وأسلوبها المختلف مما يفرض عليها أن تكون ذات رؤى متباينة . ولعل أهم عامل مشترك بينها ليس كونها تتناول محوراً واحداً بعنوان رئيس مشترك فحسب ، بل أن كاتبيها ممارسون للكتابة الإبداعية ، من رواية وشعر وفن مقالة ونقد . وهذا يجعل مما يقدمونه له أهميته من واقع صلتهم بالكتابة خصوصاً وانشغالهم بالهم الثقافي .

التزمت ورقة فخري صالح بعنوان محور الندوة ، وكانت أشبه بشهادة شخصية لتجربة مثقف عربي انغمس في تجربة المعلوماتية وتأثيراتها عليه ، ولذلك كان الكاتب واعياً أنه يكتب شهادة عن تجربة ولا يكتب بحثاً فلم يشغل نفسه بالإطار الشكلي للبحث ولا للمصادر والمراجع والتوثيق.

أما دراسة مفلح العنوان فقد تسللت تحت عنوان فرعي للمحور وهو ثقافة الصورة ... والتكنو مثقف . وهي جاءت على شكل دراسة حيث هناك مفتتح وعناوين فرعية ومراجع ، وهذا الشكل جعل هذه الدراسة تقع بين ورقة فخري صالح الشهادة وورقة محمد عبد الله ذات الطابع الأكاديمي.

وكنت أتمنى لو أنها سارت في أحد المسارين السالفين الشهادة أو الدراسة البحثية التي حينما تستند إلى المراجع تقوم بتحديد الإحالات داخل النص ، وتلتزم كذلك بعنوان المحور الأساسي .

ولأن العنوان الفرعي للورقة كان ثقافة الصورة والتكنو مثقف فإنه قاد المؤلف بعيداً عن المعلوماتية ليقع في حضن الاتصال / الإعلام حينما دخل في موضوع الفضائيات والسينما لتحتل جزءاً غير يسير من ورقته وموضوع التلفزيون والسينما مختلف تماماً عن موضوع المعلوماتية .

أما ورقة د. محمد عبيد اللّه فقد انعطفت كذلك نحو عنوان فرعي . ((موسم الهجرة إلى الحاسوب ! من أناس جوتنبرغ إلى قرية بيل غيتس)) وهو عنوان يربط القارئ مباشرة بعنوان رواية الطبيب صالح وإحالاتها الفكرية في العلاقة بين الشمال والجنوب .

وهي ورقة تمتلك في عمومها خصائص الشكل الأكاديمي ، وإن كانت تحتاج إلى تماسك أكبر في بنائها التنظيمي . وخصوصاً أن موضوعاً بحثياً كهذا كان يحتاج إلى مراجعة للأدبيات في هذا المجال ، وهناك الكثير مما كتب عنه وخصوصاً ما صدر باللغة الإنجليزية وما أصدرته اليونسكو من وثائق حول هذا الموضوع أو ما له صلة به .

ولعلها ملاحظة عامة أن الاعتماد في ورقتي العدوان وعبيد اللّه كان على الترجمات التي تناولت هذا الموضوع وهي ترجمات محدودة جداً إذا ما قيست بالأدبيات التي يمكن الرجوع إليها في هذا المجال ، وبكبسة زر كان يمكن الرجوع من خلال المعلوماتية إلى المئات من الدراسات والوثائق المرتبطة بموضوع الثقافة والمعلوماتية / الثقافة والإنترنت .

واسمحوا لي هنا أن أقدم رؤيتي فيما يتعلق بموضوع الثقافة والمعلوماتية وهي تقدم رؤية نقدية من خلال مراجعة للأوراق الثلاثة معاً .

(في إطار ندوة السياسات الثقافية) لا يمكن النظر إلى الثقافة والمعلوماتية إلا من خلال نظرة متكاملة لموضوع الثقافة والمعلوماتية تأخذ في اعتبارها ما يلي :

أولاً : التفريق بين المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات .

ثانياً : العلاقة بين الثقافة بأنماطها الثلاث العليا والجماهيرية والشعبية وعلاقتها بالمعلوماتية .

ثالثاً : الاندماج الحاصل بين وسائل الاتصال المختلفة كأقنية للمعلومات .

رابعاً : التقنية المتطورة في كفاءة وحجم ورخص نقل المعلومات باستخدام الفايبر أوبتكس والأقمار الصناعية .

خامساً : الجانب التفاعلي لتكنولوجيا المعلومات وقدرتها الحالية إلى مخاطبة الحواس السمعية والبصرية والشمية (وهي تقنية أصبحت متطورة) بينما الحاسة اللمسية في موضع الاختبار والتطوير .

سادساً : الجانب القانوني والأخلاقي لما تقدمه تكنولوجيا المعلومات عبر المواقع المختلفة في الإنترنت والتي تشمل حقوق التأليف / المواقع الإباحية / اختراق الخصوصية / استغلال الأطفال وإغواءهم / ....إلخ وتأثيراتها على القيم والثقافة السائدة .

سابعاً : إن التحدي الحقيقي خلال العقود القادمة ينبني على أساس المضمون ، والمنافسة ستكون في أي مجتمع ، وعلى مستوى دولي مرتبطة بتسويق المضمون في ظل توافر التكنولوجيا رخيصة الثمن التي توفر اليسر في الدخول إلى المعلومات .

ثامناً : إن جوانب السيطرة والتحكم في تكنولوجيا المعلومات ليست هي العامل الحاسم في مسألة الثقافة ولكن ذلك يتعداه إلى السيطرة على إنتاج المعلومات وتوزيعها . ولذلك فإن هيمنة الشمال على المعلوماتية تفرض تحديات أساسية للثقافات المختلفة تستدعي القدرة على التفاعل والمواجهة .

تاسعاً : إن أي ثقافة لها آلياتها في الدفاع عن ذاتها ، ونظرة سريعة إلى ما تم إنجازه بجهود فردية وجهود رسمية في مجال المعلوماتية يرينا إلى أي حد كانت هناك استجابات لإنشاء مواقع عربية ، لأفراد ومؤسسات خاصة وحكومية ، تجعلنا لا نُصاب بُرهاب تكنولوجيا المعلومات ولكننا نشعر بأنه بإمكاننا أن نغذَ الخطى في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات لتكون آلية ووعاء لنقل الثقافة العربية وتعزيزها.

عاشراً : إن موضوع العلاقة بين الإبداع وتكنولوجيا الاتصال ليست علاقة صراع ولا علاقة تنافر ، إن المستقبل يشير إلى أن المبدعين وخصوصاً أولئك القادمين مع المستقبل من الأجيال التي تربّت في أحضان الحواسيب والإنترنت سوف يفيدون من إمكانيات تكنولوجيا الاتصال التفاعلية وقدرتها على مخاطبة أربع حواس على الأقل .

وستظل التكنولوجيا هي وسيلة يمكن توظيفها بطريقة إبداعية ، ما دام الحس الإبداعي والموهبة الخلاقة موجودة لدى بني البشر ، والخيال الإنساني ينمو مع نمو

تجاربه ، وتوفر تكنولوجيا المعلومات فرصاً لاختبار الإبداع كما لم يختبره الإنسان من قبل ، من خلال الواقع الافتراضي ، والتفاعل مع الآخرين بتجاوز حدود الزمان والمكان .

حادي عشر : إن الصلة بين طبيعة الوسائل الاتصالية وأسلوب توظيفها ونمط الحياة ، تظل موضع تساؤل منذ أن اقترح مارشال مكلوهان فرضياته الأساسية

- العالم قرية كونية .
- الرسالة هي الوسيلة .
- الوسائل الاتصالية كامتداد للحواس .
- تقسيم الوسائل الاتصالية إلى وسائل ساخنة ووسائل باردة . ومن ثم لا بد من دراسة تأثيرات الاتصال في المجتمع وثقافته .

ثاني عشر : كما أشار أكثر من باحث ستظل قضية صلة الإبداع والهُوية قائمة وتشكل تحدياً ، وستكون العلاقة الجديدة باستخدام الحاسوب ، بل وبالقلم الحاسوبي إذا كنا لا نريد استخدام لوحات المفاتيح ، وسيلة لعلاقة جديدة بالإبداع ، وإحساس مختلف عن الطريقة التقليدية .....إنها آفاق جديدة تخلق إحساساً جديداً وتجربة جديدة لإبداع جديد . ولذلك فإن عصر المعلومات يخلق كما يخلق كل عصر أسطواته حسب تعبير د. نبيل علي ، ولكن الإبداع يحتاج إلى شيء إضافي للحرفية والمهارة المكتسبة التي يزاولها المهنيون الجدد في عصر المعلومات .

ولذا فالإبداع في منجى من خطر تهديد الحرفي ، إذا امتلك المبدع مهارات التعامل مع أساليب المعلوماتية الجديدة ووظف مخزونه الثقافي مما يبرز هُويته الثقافية المستقلة .

ثالث عشر : إن سهولة الوصول إلى المعلومات وفيضانها سوف تؤثر على طبيعة استغلالنا لها . ومن ثم فإن حجم البيانات التي تتوافر ستقود إلى الحاجة ليس فقط الوصول إليها بل إلى فن استخدامها خشية أن يغمرنا طوفانها مما يقودنا إلى اللامبالاة بها .

رابع عشر : إن إغواء الترفيه في شبكة الإنترنت ، وما يُوفره الميل والرغبة الطبيعية للمرء للراحة والتسلية ستقود إلى التوجه نحو المواقع الترفيهية كالألعاب والموسيقى وغرف الدردشة مما يقود إلى عزوف الأجيال الجديدة عن مواقع الثقافة الراقية ومواقع

المعلومات الجادة ومن ثم فإن الثقافة الجماهيرية تميل إلى التسطيح وتهدد الثقافة الراقية .

خامس عشر : إن التعدد الثقافي وتنوعه لا يواجه خطر الانصهار في بوتقة واحدة في ظل العولمة الاتصالية كما يتوهم البعض ، بل إن ما يتحقق اليوم كما أشرنا في أكثر من دراسة في ظل قرية كونية اتصالية بأن التوجه العالمي يميل إلى تعزيز الشخصيات القومية ، والتي أسميناها بقبائل القرية الكونية ، حتى في الولايات المتحدة لم تعد وسائل الاتصال بما فيها الإلكترونية عامل صهر بل أصبحت عامل تشظية في المجتمع ، فالعرب الأمريكان يشاهدون الفضائيات العربية ويتفاعلون مع المواقع الإلكترونية العربية ..... إلخ وهكذا الأمريكان من الأصول القومية المختلفة .

سادس عشر : إن الفجوة القائمة بيننا وبين الغرب في تكنولوجيا المعلومات ليست قروناً ولكنها في أسوأ أحوالها عقوداً إن لم تكن عقدين فحسب ، وهي تجربة إنسانية عامة في ثقافتها والقلم في كتابتها ، وبين الأجيال الجديدة الحاسوبية التوجه .

سابع عشر : إن تجربة المعلوماتية على الرغم من إتاحتها الفرصة الديمقراطية للتفاعل والتواصل ، إلا أنها في طبيعتها لا يمكن تجاوز السلطة التي تفرض النص وتقترح النص المفرع والإحالات من داخله إلى نصوص أخرى ومواقع أخرى .

ثامن عشر : إن مصطلح التكنو مثقف مصطلح جدير بالتعمق ، ولكن التكنو مثقف ليس بالضرورة أن يكون خبيراً بأسرار الآلة ، ولكنه يجب أن يكون خبيراً بمعالجة المعلومات إلكترونياً .

استقيتُ هذه الملاحظات من واقع الأوراق الثلاثة ، ويظل بعد هذا أن ما قدّمه أدباء من رؤية لعلاقة الثقافة بالمعلوماتية إنما هي جديرة بالتقدير والأخذ في الاعتبار حينما يتم إعداد السياسات الثقافية .